فإن قُلْتَ: فما معنى هذا التنكير؟ **قُلْتُ:** التفخيم. كأنه قيل: إن مع العسر يسرًا عظيمًا وأي يسر. وهو مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قُلْتَ: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين! **قُلْتُ:** كأنه قصد باليسرين ما في قوله: يسرًا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة.

فإن قُلْتَ: فكيف تعلق قوله:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾.

﴿فإذا فرغت فانصب﴾ بما قبله؟ **قُلْتُ:** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتًا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي أنه رأى رجلاً يشيل حجرًا فقال: ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغًا من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغًا سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخره[1]. وقرأ أبو السمال: فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي: فانصب عليًا للإمامة، ولو صح هذا للرّافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرًا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾.

﴿وإلى ربك فارغب﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصًا ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: فرغب أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرّج عني»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التين مكية

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾.

أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة. وروي أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت أنّ فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه. لأنّ فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»[3]. ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبًا واستاك وقال: إنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة»[4]. وسمعته يقول: «هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل: جبلان من الأرض المقدّسة يقال لهما: بالسريانية: طور تينًا وطور زيتًا لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: التين جبال ما بين حلوان وهمدان، والزيتون جبال الشام لأنها منابتهما. كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون.

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾.

وأضيف الطور، وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة. ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾.

والبلد: مكة حماها الله. والأمين: من أمن الرجل أمانةً فهو أمين. وقيل: أمان، كما قيل: كرام في كريم، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿حرمًا آمنًا﴾[5] بمعنى: ذي أمن. ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدىً للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾.

---

(1) حديث عمر قال عنه الزيلعي 4/236 وحديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة 13/300 كتاب: الزهد، باب: كلام ابن مسعود.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/237.

(3) أخرجه أبو نعيم في كتاب: الطب، الزيلعي 4/241.

(4) رواه الطبراني في الأوسط والثعلبي في تفسيره، الزيلعي 4/242.

(5) سورة القصص، الآية: 57.

﴿في أحسن تقويم﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه.

ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾.

ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته تلك الخلقة الحسنة القويمة لسوية أن رددناه أسفل من سفل خلقًا وتركيبًا، يعني: أقبح من قبح صورةً وأشوهه خلقةً وهم أصحاب النار، أو أسفل من سفل من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل. وحسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوّس ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، وتشنن جلده وكان بضًا، وكل سمعه وبصره وكانا حديدين، وتغير كل شيء منه فمشيه نليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف. وقرأ عبد الله: أسفل السافلين.

فإن قُلْتَ: فكيف الاستثناء على المذهبين؟ **قُلْتُ:** هو على الأوّل متصل ظاهر الاتصال، وعلى الثاني منقطع.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾.

يعني: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائم منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم.

فإن قُلْتَ:

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾.

﴿فما يكذبك﴾ من المخاطب به؟ **قُلْتُ:** هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات. أي: فما يجعلك كاذبًا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل. يعني: أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأنّ كل مكذب بالحق فهو كاذب، فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى: ﴿الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾[1] والمعنى: أنّ خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرًا سويًا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر. لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين[2]. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العلق مكية

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت. وأكثر المفسرين على أنّ الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم.

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾.

محل ﴿باسم ربك﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، قل بسم الله ثم اقرأ.

فإن قُلْتَ: كيف قال: ﴿خلق﴾ فلم يذكر له مفعولاً. ثم قال: ﴿خلق الإنسان﴾؟ **قُلْتُ:** هو على وجهين: إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾[4] فقيل الذي خلق مبهمًا، ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيمًا لخلق الإنسان ودلالةً على عجيب فطرته.

فإن قُلْتَ: لم قال: ﴿من علق﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقة. كقوله: ﴿من نطفة﴾[5] ثم من علقة؟ **قُلْتُ:** لأنّ الإنسان في معنى الجمع. كقوله: ﴿إنّ الإنسان لفي خسر﴾[6].

ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾.

﴿الأكرم﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم. فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال: الأكرم.

ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾.

---

(1) سورة النمل، الآية: 100.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/510.
(3) ذكره الثعلبي والواحدي، وابن مردويه، زيلعي 4/243.
(4) سورة الرحمٰن، الآيات: 1 ـ 3.
(5) سورة النمل، الآية: 4.
(6) سورة العصر، الآية: 2.